بسم الله الرحمن الرحيم ربنا اتنا من لدنك رحمة
وهي لنا من امرنا رشدا الحمد لله وسلام علي عبادة الذين اصطفي
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة انال بها من
من قصور الجنة غرفا واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله النبي
المصطفي صلي الله عليه وعلي اله واصحابه صلاة لا صرف فيها ولا حيفا
وسلم تسليما وكرم تكريما اما بعد فقد سالني سايل عن اللبن والعسل
ايهما افضل وهل في الايتين الشريفتين في شانهما دلالة علي تفضيل
احدهما علي الاخر وما وجه الصواب في ذلك فاجبت منه كلا يا السميع
العليم سايلا من فضله ان يهديني لما اختلف فيه من الحق باذنه انه
يهدي من يشا الي صراط مستقيم ان كلا من الصنفين المذكورين فاضل
في نفسه بالنسبة الي عبره وقد امتن الله تعالي بهما علي خلقه وبنه
علي عظيم شانهما وكمال قدرته في خلقهما في كتابه العزيز وذكرهما
في جملة النعم التي اسبغها علي عباده فقال تبارك وتعالي وان لكم في
الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا
سايغا للشاربين وقال تبارك وتعالي واوحي ربك الي النحل ان اتخذي

من

من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي
سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس
ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فلنتكلم علي معني الايتين الشريفتين
ونتبه علي ما فيهما من انواع القدرة الباهرة فبذلك يتضح المراد
ومن يضلل الله فما له من هاد فنقول اما اللبن فقد اخبر الحكيم
القدير ان في خلق هذه الانعام اعظم عبره ودلالة علي قدرته ووحدانيته
وعظمته وان ذلك لا قدرة لاحد علي فعله سواه تبارك وتعالي
والمراد بالانعام هنا الابل والبقر والضان والمعز فانه اسم للجنس
يذكر ويونث قال النحويون لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع
كالرهط والقوم فهذا في مفرد ومعناه جمع وذكر سيبويه
الانعام في باب ما لا ينصرف من الاسما المفردة الواردة علي
افعال قال في الكشاف ولذلك رجع الضمير اليه مفردا وقال
سيبويه ايضا العرب تخبر عن الانعام بخبر الواحد وقيل لما كانت
لفظ الجمع وهو اسم الجنس يذكر ويونث يقال هذا الانعام وهي
الانعام جاز عود الضمير بالتذكير قاله الزجاج وقال

الكسائي معناه مما في بطون ما ذكرناه فهو عائد على المذكور وقد قال
تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره وقال الكسائي ايضا مما في
بطونه اي مما في بطون بعضه اذ الذكور لا البان لها وهو الذي يعول
عليه ابو عبيده وقال الفراء الانعام والنعم واحد والنعم تذكر
ولهذا تقول العرب هذه نعم وارد فرجع الضمير الى لفظ النعم
الذي هو بمعنى الانعام قال القاضي ابو بكر بن العربي انما يرجع
التذكير الى معنى الجمع والتانيث الى معنى الجماعه فذكره هنا باعتبار
لفظ الجمع وانثه في سورة المومنين باعتبار لفظ الجماعه فقال
نسقيكم مما في بطونها وبهذا التاويل ينتظم المعنى انتظاما حسنا
والتانيث باعتبار لفظ الجماعه والتذكير باعتبار لفظ الجمع
كثير واما العبرة فاصلها تمثيل الشي بالشي لتعرف حقيقته من
طرق المشاكله ومنه فاعتبروا يا اولي الابصار وقال ابو بكر الوراق
العبرة في الانعام تسخيرها للاربابها وطاعتها وقوله نسقيكم بفتح
النون على قراة اهل المدينه وابن عامر وعاصم في رواية ابي
بكر من سقى يسقي وقرا الباقون وحفص عن عاصم بضم النون

من

من اسقى يسقي وهي قراة اللوفيين واهل مكه وقيل هما لغتان
قال الفراء فتح النون لغة قريش وضمها لغة حمير وقرئ نسقيكم
بالتا المنتناه من فوق وهي ضعيفه يعني الانعام وقرئ ايضا
بالياء يسقيكم اي الله عز وجل وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة
فقيل نسقيكم من بين فرث ودم فرثت لبنا خالصا سايغا للشاربين اي
يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينهما
برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما على الاخر يلون ولا طعم
ولا رايحة بل هو خالص من ذلك كله والفرث بفتح الفا وسكون الرا
وهو ما يجتمع في الكرش قال الفراء هو ما الفي من الكرش تقول
فرثت الشي اذا اخرجته من وعايه فنثرته فاما بعد خروجه
فانما يقال سرحين وزبل ثم روي عن ابن عباس رضي الله عنه
ان الدابه اذا اكلت العلف واستقر في كرشها طبخته
فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد
مسلطه على هذه الاصناف فتقسم الدم وتجريه في العروق
وتجري اللبن في الضرع وتبقي الفرث في الكرش وهذه حكم بالغه

فان قلت الحس يخالف هذا في ان اللبن والدم لا يتواردان
في الكرش فان الحيوان يذبح ويجد منه اللبن ولم يرد احد في كرشها
دما ولا لبنا فالجواب كما قال الامام فخر الدين الرازي ان
الحيوانات اذا تناولت الغذاء وصل الى المعدة ان كان انسانا
والى الكرش ان كان بهيمة انطبخ وحصل الهضم الاول فيه
وما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء
ثم انطبخ وحصل الهضم الاول فيه وما كان صافيا انجذب الى
الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ينطبخ الكبد ما وصل
اليها وهو الهضم الثاني ويكون ذلك الدم مختلطا بالصفرا
والسوداء والمائية فتذهب الصفرا الى المرارة والسوداء
الى الطحال والمائية الى الكبد ومنها الى الثانة فيبقى
الدم في العروق والاوردة النابتة من الكبد وهو الهضم
الثالث وبين الكبد والضرع عروق كثيرة فينصب ذلك الدم
في تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غدد ي رخو ابيض
فينقلب الدم الى اللبن فان قيل هذه المعاني حاصلة في الحيوان

الذكر

الذكر فلم لم يحصل منه اللبن قلنا الحكمة الالهية اقتضت تدبير
كل شيء على الوجه اللائق به الموافق لمصلحة مزاج الذكر
من كل شيء يجب ان يكون حارا يابسا ومزاج الانثى من كل
شيء باردا رطبا والحكمة فيه ان الولد انما تكون في بدن الانثى
لمزيد رطوبتها وايضا الولد اذا كبر يجب ان يكون وعاء قابلا
للتمدد حتى يتسع لذلك الولد فلو لم يكن البدن كثير الرطوبات
لما صار ذلك ثم ان تلك الرطوبات التي كانت مادة لازديا
بدن الجنين فعند انفصاله ينصب الى الثدي والضرع ليصير
مادة لغذاء ذلك الطفل فيظهر الفرق قال الامام فخر الدين
الرازي حدوث اللبن في الثدي واتصافه بالصفات التي
باعتبارها يكون موافقا للتغذية الحي يشتمل على احكام
عجيبة واسرار بديعة يشهد لها صريح العقل بانها لا تحصل الا
بتدبير الفاعل الحكيم والمدبر الرحيم وبيان ذلك انه خلق
في اسفل المعدة منفذ يخرج منه ثفل الغذاء فعند تناول الانسان
الغذاء والماء ينطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شيء

العلما المراد بالحلو هنا كل حلو وذكر العسل بعدها تنبيها
على شرفه ومزيته وهو من باب ذكر الخاص بعد
العام وقد روى ابو نعيم في التاريخ اصفهان
في ترجمة احمد بن الحسن عن بن عمر رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول نعمة نزع من
الارض العسل فعلي كل حال هو نوع عظيم كثير المنافع
جليل المقدار عظيم الاعتبار ولهذا اعقب سبحانه
وتعالى ما نبه فيه على عظيم قدرته بقوله ان في ذلك
لاية لقوم يتفكرون اي يعتبرون قال العلامة ابو
عبد الله بن القيم ما خلق لنا شيء في معناه افضل منه
ولا مثله ولا قريبا منه ولم يكن معول القدما الا عليه
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشربه بالماء على الريق
وفي ذلك سر بديع في حفظ الصحة لا يدركه الا الفطن
فان شربه ولعقه على الريق يذيب البلغم ويغسل
خمل المعدة ويجلو لزوجتها ويدفع عنها الفضلات

ويسخنها

ويسخنها باعتدال ويفتح سددها ويفعل ذلك بالكبد والكلى
والمثانة وهو انفع للمعدة من كل حلو دخلها وانما يضر
بالعرض لصاحب الصفرا فيدفع صرره بالخل فيعود نافعا
جدا فظهر بهذا الذي اشرنا اليه وقصرنا التنبيه عليه
انه جوهر نفيس جليل عظيم مبارك اجتمع فيه من الاوصاف
والفضايل والمنافع ما لم يجتمع في غيره فان قلت ظاهر
هذا الكلام ومفهوم هذا النظام يفضيلة على اللبن لانك
قد ذكرت كلا من النوعين واثبت في تحقيق هذين الاصلين
والفرعين مما يقر عينا بل النوعين مما يزيل الالتباس
ويدفع الوسواس ويشرح الخاطر ويسر الباطن والظاهر
ويكشف الغم ويذهب الهم ويدفع الاشكال ويمنع
الاعتلال ويطهر السداد ويبين المراد لكن تحلت
العسل منافع جمه ومعالم علمه وفوايد جليله
وفوايد جميله ونحفا جزيله ونفايس فرايد وجواهر
قلايد تؤذن بتفضله وتقطع بنر جيحه وتناصله الا

انك تصرح بذلك ولم تتوضح للسايد في ذلك المسالك فهل هذا
الظاهر هو المراد ام تفضيل اللبن هو السداد قلت الان
وجب البيان وحق التبيان ونختم الترجيح بالصواب
وهو ان العسل وان كانت منافعه كثيره وفضايله غطيره
لكن اللبن يتفضل عليه ويميل جانب الترجيح اليه لان سيد
الاولين والاخرين وصفوة النبيين والمرسلين قد
اختاره واصطفاه وانتجه وارتضاه لما خير من الاصناف
الثلاثة اللبن والعسل والخمر اختار اللبن فقدمت
في صحيح البخاري من حديث انس في حديث المعراج
بعد ان رفع البيت المعمور قال ثم اتيت بانا من خمر وانا
من عسل فاخذت اللبن فقال يعني جبريل هي الفطرة التي
انت عليها ووقع في رواية الامام احمد من حديث
ابن عباس فلما اتي المسجد الاقصى قام يصلي فلما انصرف
جيء بقدحين في احدهما لبن وفي الاخر عسل فاخذ اللبن
لكن في صحيح مسلم ان احدهما خمر والاخر لبن وفي حديث

شداد بن اوس فصليت في المسجد حيث شاء الله واخذني
من العطش اشد ما اجدني فاتيت بانائين احدهما لبن
والاخر عسل فعدلت بينهما ثم هداني الله فاخذت
اللبن فقال شيخ بين يدي يعني لجبريل اخذ احدا الفطر
فهذه الروايات كلها في اختياره اللبن مرجحة فظهر
بذلك وجه تفضليه وخصوصا من قول جبريل عند اختياره
هديت الفطرة يعني فطرة الاسلام وقد قدمنا
وجه المناسبة بينه وبين الفطرة لكونه اول شيء
يدخل بطن المولود فهو من جنس الفطرة التي فطر
الله الناس عليها وهي الشهادة له بالوحدانية لان
المولود اول شيء عرفه وحدانية الله عز وجل وهو
في صلب ادم كالذر حين اشهدهم سبحانه وتعالى
على انفسهم بقوله لهم الست بربكم قالوا بلى فحينئذ
ظهر بهذا الذي ذكرناه وانضح بما شرحناه ان الامرين
الشريفين ليس فيهما ما يدل على ترجيح احد النوعين

على الآخر بكل منهما مسوق في جملة النعم التي انعم الله
عز وجل بها على عباده وامتن بها عليهم ونبه بكيفية
خلقها ووجودها على وحدانيته وتفرده بالقدرة
الباهرة التي لو اجتمع الانس والجن على الاتيان
بجزو واحد من تلك المعالي لما وجدوا الى ذلك سبيلا
فسبحانه من اله اذا اراد شيا انما يقول له كن فيكون
وهذا آخر ما يسره الله تعالى من الكلام على الآيتين
الشريفتين بطريق الايجاز والاختصار دون الاسهاب
والاكثار في ذلك مقنع للقاصد ومرتع للرايد والله
اسال ان يوفقنا لمرضاته ويحمينا من سقطات
اللسان وغلطاته بمنه وطوله وقوته وحوله
والحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم
النبيين وصفوة الاكرمين
وعلى اله وصحبه اجمعين
وسلم تسليما كثيرا الى
يوم الدين وعلى
جميع الانبيا
والمرسلين
امين